صداقة ممنوعة

قصة: مها الحايك
الرسومات: آلاء الحايك

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

F
HAY
c.3

صداقة ممنوعة

مركز الموارد/مؤسسة تامر
رقم التصنيف: 5717/ك
Class #: 5717/ك
رقم التسلسل: 5717
Serial #: 5717

الاسم: مها الحايك

العمر: ١٣ سنوات

الصف: السابع

المدرسة: مصطفى حافظ الإعدادية

البلدة: غزة

© جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لايـــجوز طباعة او نســخ او تصوير او ترجمة هذا الكتاب بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

اصدر هذا الكتاب بدعم من جمعية مساعدات الشعب النرويجي NPA

مؤسســـة تامـــر للتعليـــم المجتمعـــي
ص.ب ١٩٧٣
رام الله، فلســـطين
تلفاكس: ٢/٦١٢١ ٢٩٨-٠٢

الطبعـــة الأولى

تصميم وتنفيـــذ: أضـــواء للتصميم والمونتـــاج الفني، رام الله، هاتف: ٠٥٥٢ ٢٩٨-٠٢

F
HAY
c.3.

إهداء

أهدي هذه القصةَ إلى أبي وأمي وجميعِ أفراد عائلتي .

أهدي قصتي هذه إلى مؤسسةِ تامر التي شجعتْنا على الكتابة .

أهدي قصتي هذه إلى مكتبةِ بلديةِ غزة التي احتضنْتنا وعملتْ على تنميةِ مواهبنا .

بينما كنتُ أجلسُ في السيارةِ بجوارِ والدي التقتْ عيناي بعينينِ سمراوينِ تائهتينِ، تتلفتانِ يميناً وشمالاً، وتبحثانِ عن زبون علّهُ يشتري علبةَ محارمٍ ورقيةٍ أو مغلفَ علكة.

نظرت إليه طويلاً. دارتْ في ذهني تساؤلاتٍ كثيرة: لماذا يا ترى هو على هذه الحال؟! لماذا ينكوي بلهبِ الشمس صيفاً ويقرصهُ البردُ شتاءً؟! لماذا يتركُه أهلُه في الشارع؟! لماذا هي قاسيةٌ هذه الدنيا؟!

يجبُ أن أفعلَ شيئاً، يجبُ أن أمدَّ له يدَ المساعدة، يجبُ أن يكونَ هناك حلولٌ لمشكلةِ هؤلاءِ الأطفالِ الذينَ نراهُمْ في أخطرِ الأماكن، يعرضون أنفسهم لخطرِ الوقوعِ تحتَ سيارةٍ من أجلِ بعض الشيكلات.. يجب .. يجب..

تســـاؤلاتٌ كثيرةٌ وإجاباتٌ حائرةٌ كانت تتســـارعُ في ذهني. وفجأةً سألتُ أبي: لماذا لا ندعَهُ يركبُ معنا في الســـيارة ونحاولُ أن نعرفَ ظروفَهُ ونساعدَهُ؟ نظر أبي إليّ، ثم أدارَ وجَهَهُ وانطلقَ بعد أن فتحتْ إشارة المرور وكأنه لمَ يســـمع شيئاً، أو كأنني قلت تفاهةً لا تســـتحقُ الوقوفَ عندها أو مناقشتَها ولو بكلمة نعم أو لا.

مرّت أيامٌ وصورةُ هذا الولدُ الذي هو في مثلِ عمري لا تفارقُني. أرى وجَهَهُ بينَ ســـطورِ كـتابي فأشعرُ بمرارة. لا أعرفُ لماذا أحسسُت بالمسؤولية تجَاهه.لا أعرفُ السبب. يجبُ أن يـكونَ هناكَ مسؤولٌ ما. ووجـدتـُني فجأةً اخترقُ عـادات وقوانيـنَ تربيتُ عليها ثلاثةَ عشـرَ عاماً، وإذ بأرجلي تأخذُني إلى ذلكَ المكانِ الذي رأيته فيه. كانَ هناك وكأنهُ جزءٌ من ذلـــك الـمكان. فرحتُ وكأنني وجدتُ شيئاً تائهاً مني.

ناديـــته .. نظرَ حولَه ليرى إن كانَ هو المقصود أم لا.. وعندما تأكدَ من أنه المقصودُ تقدمَ نحوي بخطواتٍ متعثرة. وجدتُ نفسي لا أعرفُ من أين أبدأ؟ سألتُه عن اسمه فقال أنه باسم. ســـرحتُ في اســمه. ما هذا الاســمُ الذي لا يناسُبك!! إنكَ آخُر إنســانٍ من الممكــن أن يكونَ باســماً.

ســألتــُه: هل من الممكــنِ أن نكونَ أصــدقاءً؟ استغربَ أكثر.. ما الذي تقولــُه هذه الفتاةُ؟ هل حقٌ ما تطلُبه؟! هل حقيقـــة أن هذه الفتــاةَ الصغيرةَ التي تلبسُ أجملَ الثيابِ، تريدُ أن تكونَ صــديقــَتي!

كل النظراتِ التي منحني إيـــاها كانتْ تقولُ ذلك. فقلت له لأرفعَ من الخجلِ الذي يحسُّ به: في أي صفٍ أنتَ يا باسم؟

نـظرَ إليّ ثم ابتسمَ قليلاً وقال: وهل ترينَ في هذا الشكل الذي أمامَكِ ما يدلُّ على أنني أذهبُ إلى المدرسة؟

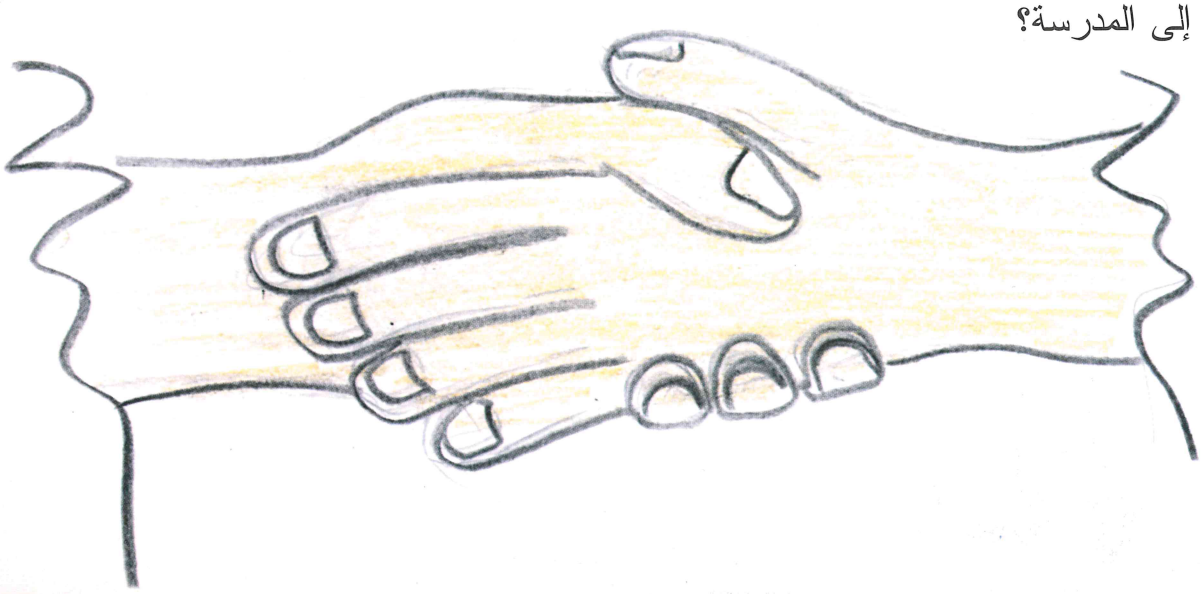

ســـألتُهُ عن الســـبب الذي دفَعهُ للوقوفِ هنا، فأخذ يحكي لي قصتَه التي جعلتني أعتصر من الألم.

باســـم هو الولدُ الخَامسُ بين أخوته الثمانية؛ أمه ســـيدّة غيرُ متعلمةٍ لا تعرفُ إلا أنها تريدُ النقودَ من أجل عيـــشِ أولادها. لا يهمُها من أينَ يحصلونَ عليها، المهمُ هو الحصولُ عليها. أما الأب فهو بلا عمل. ولذا فهو غاضبٌ وتعيسٌ ودائم الصراخ على أولاده.

يا إلهي ما هذا العذابُ الذي يعيشُه هذا الصبي! تخيلتُ نفسي بدلاً منه. يا رب ما أصعبَها من حـياةٍ، فالمدرسُة والتعليمُ أحلى ما في الحياة. سـألتـُهُ أن يحكي لي عن أحلامِه، نظر بَعيداً في الأفـق ثم بدأ يحكي لي.

أحلـُم أنني شخصٌ آخَر يـختلفُ عن هذا الشخص الذي أمامَك والذي أكرهُهُ. بالفعل، أحسُّ أحياناً أنني أكرَهُ نفسي وأكرهُ أبي وكلَّ هذا العالِم القاسي الذي يتركنُا في الشارع. أحلُم أنني غـنيٌ ومدللٌ مثلَ الأطفالِ الآخرين. أحلمُ بلبسِ الثيابِ الجميلةِ والغاليةِ، وأحلمُ بمدرسةٍ أذهبُ إلـيها وأتعلمُ فيها كالآخرين. أحلمُ بأنْ لا أصحو من النوم علىَ صوتِ أمي وهي تصرخ فيّ: لـقد تأخَّرت يا باشا عن الشغل. أحلمُ وأحلمُ. ماذا تتوقعين مني غيرَ الأحلامِ فهي التي تخففُ عبءَ اليومِ وتجعلنُا نأملُ في غدٍ ربما يكونُ أجمل.

أحسـسـتُ أنني تأخرتُ وأن عليَّ الذهابَ قبل أن تكتشفَ أمي غيابي. رجعتُ إلى المنزلِ ووعدُته بلقاءٍ آخَر يكوُن قريباً.

كنُت أراُه أحياناً وأنا في طريقي من المدرسةِ إلى البيت. نسيرُ قليلاً ونتحدثُ ونلعبُ ثم أتابعُ سـيري إلى البيت.

كنتُ أراهُ فرحاً بصداقتي، ربما لأنني أذكره بطفولته. وكنتُ أنا أيضاً سعيدةً به وفرحةً لأنني اسـتطعتُ أن أُدْخِلَ بعضَ النورِ إلى حياته، حتى كانَ ذلك اليوُم الذي رآنا فيه أبي، فأوقفَ سـيارتَه ونظرَ إلي نظرةً لا أسـتطيعُ إلى اليومِ أن أنسى قسوَتها. ولم يتكلّمْ أيةَ كلمة. كنتُ أتمنى أن يـبدأ بالصراخ عليّ ويـنتهي الموقف. ولكنه لم يتكلمْ وجعلني أموتُ من الخوفِ وأتسـاءلُ: ماذا سيفعل بي؟ لماذا هو غاضبٌ كلَّ هذا الغضب؟ أنا لم أفعلْ شيئاً خاطئاً. ثم وصـلنا إلى البيتِ أخيراً. دخل أبي إلى البيتِ وهو يسألُ أخوتي: أين أمكُم؟ أين أمكُم التي لا تسألُ عن أولادها؟!

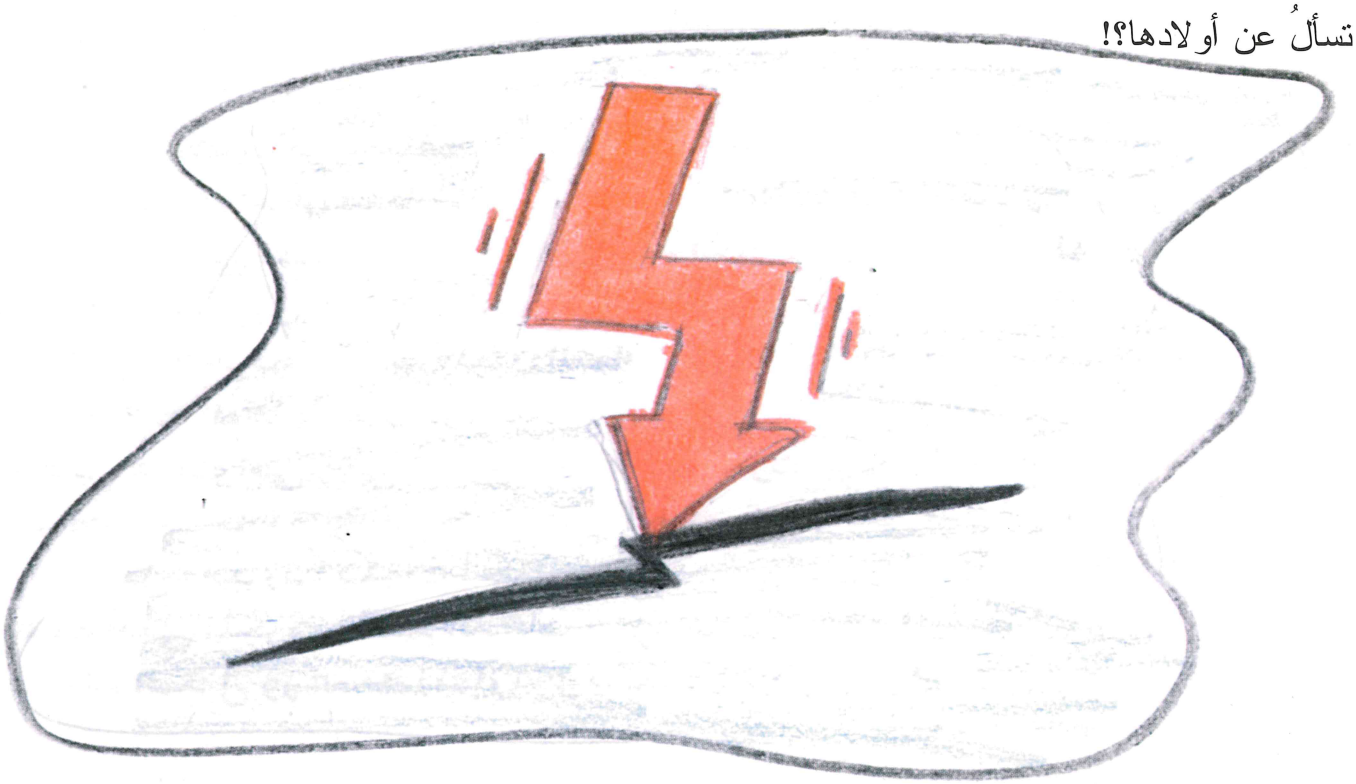

خرجْت أمي علـــى صوتهِ الغاضب متســـائلةً عن ســـببِ غضبهِ فقال لها بصوتٍ أكثر حدَّة وغـضباً: بنتك الهانم بتلعبْ في الشوارع. ومع مين؟ لن تتخيَّلي! مع ولدٍ متشردٍ .. متسولٍ.. هذا هو آخُر دلعكِ لها!!

نظرتْ أمي مُستغربةً، فهذا شيء لم تكنْ تتوقعه مني أبداً؛ أولاً أمشي مع ولدٍ، وثانياً وهو ما أغضبهَا أكثرَ هو أنه متسوّل.

لم تتمالكْ أمي نفسَها فبكتْ وهذا ما جعل أبي يمُدُّ يده ويصفعَني.

أبـــي يراها مشكلة.. وأمي تعدُّها الجريمة الكبرى في حقِها. فهي تعتبرُ ذلكَ إهانةً لها وحكماً بـــأنها لم تعرفْ أن تربيني وأنها كانتْ فاشلةً معي. ومن يومِها أصدرَ أبي قراراً بعدمِ ذهابي إلى المدرســـةِ مشياً واســـتأجرَ سيارةً لكيْ تأخذنيُ إلى المدرسةِ صباحاً وتُعيدني إلى البيتِ مساءً ، ومنعَـــني من الخروجِ من المنزلِ بمفردي.

F
HAY
C.3.

ألمحُ "باســـم" وأنا في الســـيارةِ أحياناً، انظرُ إليه حزينةً ولا أستطيُع أن أكلمَهُ. حاولت أنا يا "باســـم" ولكنني لم أســـتطعْ، وأهلي يـــرونَ أن صداقتي لك خطأ، فلســـتَ أنتَ من يجبُ أن أصادق. ولكن لا اتفق معهم فهم لا يدرون أنكَ ضحيةَ المجتمع والظروف.

أتساءل كثيراً: ألا يوجدُ حلٌ لمشكلة "باسم" والكثيرين من أمثال "باسم" الذينَ نراهمُ في أماكنَ كـثيرة؟ من المسؤول؟ وأين المسؤولون؟ من يعيدُ لباسم طفولته ؟ من يعيدُ لباسم براءتهَ؟ من يعيدُ لباسم بسمتَهُ؟

مركز الموارد/مؤسسة تامر
Class #: ص ٢/ ي
رقم التصنيف:
Serial #: 57/7
رقم التسلسل:

سلسلة كتابي الأول

منذ بداية عملها أولت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي أهمية خاصة للتعبير بكافة أشكاله وصوره وعلى الأخص التعبير الكتابي كوسيلة للتعبير عن وتدوين الخبرات الذاتية والفردية والجماعية. ولقناعتنا بأن هذه الخبرة يمكن اكتسابها وتنميتها منذ الطفولة ولتشجيع الأطفال على التعبير الكتابي الإبداعي، فقد إرتأت المؤسسة وضمن فعاليات أسبوع القراءة الوطني لعام ١٩٩٥ طرح مسابقة (كتابي الأول) دعت فيها الأطفال من عمر ٨ إلى ١٤ عاماً لكتابة سيرهم الذاتية وما تتضمنه من خبرات وتجارب خاصة، وقد استجاب لهذه المسابقة عدد من الأطفال والفتيان والفتيات.

ولم تكن هذه المسابقة لتأخذ طابع المسابقات التقليدية (سؤال وجواب، أو اختيار الفائز/ة الأول/ى فالثاني/ة ... وهكذا) بل كانت فكرتها إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن ذواتهم بلغتهم الخاصة ورُسوماتهم وأن يثبتوا لأنفسهم قبل الكبار بأنهم قادرون لا اتكاليون، منتجون لا مستهلكون.

تزداد قناعتنا يوماً بعد يوم بروعة وحجم القدرات الكامنة لدى الأطفال والفتيان والفتيات التي تحتاج الى توفير أجواء تساعدهم على تطويرها. ونستغل هذه الفرصة لدعوة جميع الأهالي والمؤسسات التعليمية وجميع العاملين مع الأطفال التركيز على هذا البعد الحيوي في تطور شخصية الطفل وهو النمو اللغوي والتعبير الكتابي.

وتقديراً لهذا الانتاج، تقرر نشر أفضل هذه المساهمات في سلسلة كتابي الأول التي تجدونها بين أيديكم. ونأمل أن نستمر برفد هذه السلسلة من خلال مسابقة كتابي الأول التي سوف تنظم كل سنة بمناسبة أسبوع القراءة الوطني.

صدر من هذه السلسلة:

١٩٩٧:

١- قطتي النغنوشة
٢- مشيئة الله
٣- الصوص المحبوب
٤- عشر سنوات من عمري
٥- أحلى الأيام وحياة شابة

١٩٩٨:

٦- قصة حياتي
٧- الحلم أصبح حقيقة
٨- طفولتي
٩- فجر الحرية
١٠- رحلاتي ومسيرة حياتي

١٩٩٨:

١١- الكتاب صديقي
١٢- من فضلك
١٣- حياتنا في الماضي
١٤- دعاء وحلمها
١٥- أيام جدتي
١٦- أنا وطفولتي

١٩٩٩:

١٧- كتابي الأول
١٨- عودة الطيور المهاجرة
١٩- دربي
٢٠- العصفوران المحبوبان
٢١- طفولتي في سطور

٢٠٠٠:

٢٢- قصة نورس
٢٣- صداقة ممنوعة